الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

جامعة البويرة

كلية الآداب واللغات
قسم اللّغة والأدب العربي
تخصص: دراسات أدبية

Faculté des lettres et des langues

المناجاة في شعر أبي القاسم الشابي
ديوان أغاني الحياة ـأنموذجاـ

مذكّرة مقدمة لنيل شهـــادة الماستر

إعداد الطالبتين:
✓ سمية لعموري

إشراف الأستاذة:
- أوديحات نادية

اللجنة المناقشة: **الجامعة**

- د/ عبد الرحمان عيساوي..... رئيسا
- أ (ة) أوديحات نادية .....مشرفة ومقررة
- أ (ة) لوصيف غنية.....عضوا ممتحنا

السنة الجامعية:2016/2015

الإهداء

إلى نجمتين أفلتا من سماء حياتي تعلمت منهما الصمود والأمل وإستقيت من روحيهما السعادة والحياة إلى إبتسامة غادرتني على حين غرة أمي، أختي تغمدهما الله برحمته.

إلى من ساندني في مسيرتي الدراسية والدي حفظه الله

إلى بهجة النفس وإشراقة الروح توأم روحي فتيحة وأبنائها.

إلى أخوتي و زوجاتهم وأولادهم.

إلى صديقاتي، سمية، إيمان، رزيقة، ريمة، أمينة

إلى أصدقائي ورفاق دربي من فرقتنا عنهم الحياة وجمعتنا الذكريات

أهدي هذا العمل المتواضع

شكر و عرفان

ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ومجدك ، على كل ماأنعمت علينا من نعم لا تحصى، منها توفيقك لنا لإنجاز هذا العمل المتواضع.

أتقدم بجزيل الشكر والإحترام إلى أستاذتنا المشرفة :

" أوديحات نادية"

وإلى كل من وقف إلى جانبنا وساعدنا من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا العمل.

سمية

مقدمة:

يقف الدارس للشعر العربي أمام قامة من قامات الأدب مازال صدى صوته يعيش في صدور النفوس الرامية للحرية، إنه صوت شاب في العشرينيات اختطفته يد الموت وهو في ريعان شبابه بعدما خط قصائده بقلم من ذهب.

شاعر عرف أن شعره ذو صبغة إنسانية تجاوزت العرق والأرض واللغة، شارك الإنسانية آلامها وأمالها وجعل من شعره أداة تواصل، و المتأمل لشعر أبي القاسم الشابي لا تخطئ عيناه قصائد تفيض بالإنسانية ويمتزج فيها أسلوب قيم رائع يهدف من خلاله إلى تغيير الحياة وعدم تقبل الوضع والسهر على تعديله والثورة في وجه الاستعمار إلى جانب الدعوة لاسترجاع السيادة وعدم الرضا عما يدور حوله كل هذا صنفه ضمن اصحاب النزعة التشاؤمية فالكآبة والحزن قد طغيا على شعره وهذا ما تناوله الكثيرون بالدراسة والتحليل إلا ان قلة قليلة نظرت في كآبة الشابي على أنها مناجاة لما حوله أو لنفسه ومحاولة منه لاكتشاف الحقائق، وقد حاولنا الإجابة عن الإشكالية التالية:

ماهي المناجاة وما تجلياتها في ديوان أغاني الحياة؟

لقد كان للمناجاة حصة الأسد في كتابات الشابي الشعرية ولعله الدافع لاختيار هذا الموضوع لقلة الدراسات المعنية بالمناجاة بصفة عامة وفي شعر أبي القاسم الشابي خاصة وقد تمت دراستنا للموضوع على النحو التالي:

الفصل الأول: تضمن اضاءات حول حياة الشابي وأدبه وشعره والأطوار التي مر بها واهم المواضيع المشارلها في شعره.

الفصل الثاني: محاولة حصر مفهوم المناجاة الواسع مع ابراز أهمية المناجاة في الشعر مع ذكر أنواعها ومحركاتها.

وأهم مواقفها والصور الجديد التي اكتسبها بعد ما كان الطاغي عليها هو المجال الديني ثم الإشارة لأهم القصائد التي تجلت فيها المناجاة في ديوان"أغاني الحياة".

وقد حاولنا جهدنا الإحاطة بالموضوع في النماذج الشعرية المشروحة وقد قدمنا إيضاحات حولها معتمدين على جملة من المراجع كان على رأسها:

- لسان العرب لابن منظور.
- محمد غنيمي هلال الرومانتكية.
- شرح ديوان الشابي لأحمد الفاضل.
- ديوان أغاني الحياة.

و ختمنا هذه المذكرة بخاتمة اشرنا فيها لأهم النتائج التي توصلنا إليها عند انجازنا لهذا البحث.

وبما أن من نواميس الكتابة في المقدمات التلميح لصعوبات قد واجهت الباحث فانه من المجحف في حق البحث والباحث التذمر والشكوى من أمورلا تتم المتعة العلمية إلا بها ولا يتميز الباحث العلمي عن سواه إلا بها.

يعد أبو القاسم الشابي احد عمالقة الشعر التونسي، الشاعر الشاب الذي ذاع صيته في أرجاء الوطن العربي فمن لا يردد:

إذا الشعب يوما اراد الحياة فلا بدأن يستجيب القدر. [1]

1. **نشأته وثقافته:** " هو ابو القاسم محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم الشابي، من مواليد الشابية بضواحي مدينة توزر وكان ذاك يوم 24 فيفري 1909"[2]وتعد توزر كبرى بلاد الجريد في تونس جنوبا وهي ذات طبيعة خلابة ترعرع في احضانها.

كان والد الشابي قاضيا شرعيا كثيرا التنقل بسبب انشغالاته وقد تولى مناصب في ولايات مختلفة من القطر التونسي، أسهم هذا في تغذية مواهب الشابي بجمال الطبيعة، وقد امل والده أن يكون ابنه من حفظه كتاب الله فادخل الكتاتيب وتعلم وحفظ القرآن وكان عند حسن ظن أبيه فقد حفظ القرآن في عمر التاسعة فبدت بذلك علامات النبوغ المبكر عليه.[3]

لقد كان الشاعر حافظا لكتاب الله منذ نعومة اظافره "تلقى تعليمه الأولي على يد والده" ثم دخل جامع الزيتونة وعمره نحو 12 عام ونال شهادة التطويع وهي الشهادة النهائية للتخرج من جامع الزيتونة وذلك عام 1927م إلا أنه ادرك أن شهادته تلك لا تسوي أماه سبيل الحياة كما يشتهي، فدخل مدرسة الحقوق ودرسا فيها ونال شهادته ومع ذلك لم يشتغل بالمحاماة".[4]

2. **روافده العلمية:** حفظ الشابي القرآن كاملا كما اوردنا سابقا على يد والده والكتاتيب التي كان يتردد عليها، «كما أنه عهد على تثقيف نفسه تثقيفا ذاتيا فقرا روائع المهجريين أمثال جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبي ماضي وطالع أمهات الكتب كالأغاني، نفح الطيب والكامل

[1]. سارة حسين الجابري، اعذب قصائد الشابي، دار العوادي، د.ط، الجزائر2015، ص 17.

[2]. سهام فخري، سلسلة مشاهير الادب العربي، أبو القاسم الشابي، دار قرطبة، ط1، الجزائر، د.ت، ص 06.

[3]. ينظر: سارة حسين الجابري، اعذب قصائد الشابي، ص 07.

[4]. عمر فروخ، المناهج في الأدب العربي وتاريخه، دار صدا، ط1ّ، لبنان، د.ت، ص 124.

ونظرا لجهل الشابي باللغات الاجنبية قرأ ما ترجمته من كتب الآداب الغربية ل" لامرتين" وجوتيه»[1]

لقد نهل الشابي ثقافته ومعارف من الكتب العربية إضافة إلى ما ترجم من الشعر الأوروبي وخاصة الشعر الرومانسي منه " هذا جعله يكتسب ثقافة واسعة ومميزة رغم عمره القصير بشهادة عدد من الباحثين والأدباء، ويتجلى ذلك في شعره وكتبه".[2]

3. **شخصيته:** احب ابو القاسم الشابي الحياة فرفضها جمودا وتباعية ورتابة عمياء، وذلة وخضوعا استسلاما معنويا تحت اية ذريعة، "أولىأهمية بالغية وتاق إلى الوجود عطاء حب وشموخ كرامة وتألقالعزة وشمس حربه شغف نفسه بالمعرفة ورقة عند الإحساس، وتجنح الخيال واستهوته الطبيعة وما هي غابت عنه او ذبلت في مقلتيه، وإذا ما عانى المرض فما هو ينطوي على ذاتهأو يغرق في ياس وظلام، ولكنه ينصهر في شعبته ووطنه وامته، ويقوى ويتمرد على التقاليد وعلى اوضاع اجتماعية جامدة واحتلال غاشم يستبد بقوته ووطنه ويكبر الشابي في قدره، إذ هو المؤثر والداعية وحامل الراية ويتغنى بوطنيته الثورية وإنسانيته الصادقة الكبيرة ووجدانياته المشرقة الساطعة وتبرز بذلك شخصيته ويتميز في حياته وشعره".[3]

اما ناحية البنية الجسدية فقد قدمت مجلة العالم العربي أدق التفاصيل عنه « إنه كان نحيل الجسم، مديد القامة، قوي البديهة، سريع الانفعال حاد الذهن، يراه اصدقاؤه بشوشا كريما وديعا،متألقا، طروبا لمجالس الادب يحب الفكاهة الأدبية ويراه من لم يخالطه حييا محتشما، وكان محبا

[1]. محمود الشيخ، الشعر والشعراء، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، عمان، الاردن، د.ت، ص 16.

[2]. سلمى خضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات العربية، ط1، 2001، ص 432.

[3]. كاظم حطيط، اعلام ورواد في الأدب العربي، ج2، دار الكتب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1ن لبنان، 2003، ص 234.

لبلادهصادق الوطنية يؤمن بأن لقادة الفكر رسالة انسانية، حاول جهده أن يحققها في أثناء حياته القصيرة قولا وعملا».[1]

4. **مرضه ووفاته:** "مأساة كبرى عاشها الشابي وتجرع مرارتها إنها مرضه الذي ابتلاه الله به أثر تخرجه من جامع الزيتونة او قبل نعومة أضافره ولم تظهر اعراضه إلا سنة 1929 وهي السنة التي توفي فيها والده وقد رافقه عليلا من بلدة لأخرى من "توزر" إلى" زغوان".[2]

وقد تجرع غصة مرضه وطفحت الكأس لموته" فاضطلعه بأعباء عائلية كبيرة واختار طريقا وعرا، ولم يلج باب كسب العيش من المناصب الحكومية ورضى بحياة بسيطة على رأس اسرته "بتوزر" حيث تزوج" ولعل هذا ما عناه البعض بقولهم " نحن نرى في نفسه الزكية مثال القناعة في افضل الوانها والطموح على خير وجهه".[3]

لقد توالت النكبات على الشابي بدءا بمرضهونكبة الحب " الفتاة التي احبها الشابي وتعلقت به، وكان من المعروف أنها توفيت في سن الزهور، وقد أثر ذلك في الشابي فبدا هائما مضطربا فاضطر اهله لتزويجه في سن مبكرة، وقد احدث موتها انقلابا في شعر الشابي بعيد الاثر، لقد رزق الشابي طفلين هما اليوم من خيرة الشخصيات في تونس".[4]

لقد أثرت فيه كتابة الشعر والارهاق الفكري نفسيا وجسديا لأنه يدفع ثمنها من روحه ودمه" فإذبه يذوب كالشمعة المحترقة وجعل عمره لا يطول لأكثر من خمسة وعشرين عاما، فقد صمت قلبه الخفاق يوم التاسع من أكتوبر سنة 1934م في أحد مستشفيات العاصمة ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه الشابية ووري الثرى بين الآهات والحسرات"[5].

---

[1]. عبد المجيد الحر ابو قاسم الشابي، أعطى الحياة إرادتها وأخذ منها حزنها وكأبتها، دار الفكر العربي، ط 1، لبنان، 1994، ص 234.

[2]. المرجع نفسه، ص 61.

[3]. هاني الخير، موسوعة الشعر العربي الحديث أبو القاسم الشابي، شاعر الحياة والخلود، دار رسلان، ط1، سوريا 2007، ص 07.

[4]. عبد المجيد الحر، أبو القاسم الشابي، أعطى الحياة إرادتها، ص 58،

[5]. عبد المجيد الحر، أبو القاسم الشابي أعطى الحياة إرادتها ، ص60.

5. **آثاره:** عظمت رغبة الشابي في جني المعرفة فعاش يطلبها ويسخو في إعطائها" فأنشأ قصائده المتتابعة والمتنوعة وينشر بعضها في مجلة أبولو لصاحبها " أبو شادي" وقد جمع شعره في ديوان عنوانه "أغاني الحياة" وأعده للنشر وما تم له ذلك وقد نشر بعد رحيله أكثر من مرة وفي النثر كتابه "الخيال الشعري عند العرب" الذي أثار عاصفة هوجاء[1].

والنتاج الباقي بعد هذين لأثرين هو كمايلي:

1- "جميل بثنية وقصص بقية مسودة بين يدي أخيه محمد أمين الشابي .
2- "شعراء المغرب" دراسة أعداها ليلقيها في النادي الأدبي ولكنه لم يجد من يستمع إليه وتركت مخطوطة عند إبراهيم بورقعة صديقه.
3- مذكرات" بدأ بتدوينها في كانون الثاني سنة 1930م.
4- قصة الهجرة النبوية" نشرتها مجلة العالم في تونس.
5- الأدب العربي في العصر الحاضر" دراسة قصيرة قدم بها ديوان الينبوع للشاعر أبو شادي.
6- رسائل توجه بها، أبو القاسم الشابي لعدد من أصدقائه وهم: الحليوي أبو شادي، إبراهيم ناجي وقد ذكرت بالتفاصيل في ختام كتاب محمد الحليوي الشابي[2].

6. مذهبه:

يعد الشابي من الشعراء الرومانسيين وتمثلت رومنسيته في إبداعاته الشعرية خاصة والأدبية عامة فقد استمد من عالم الطبيعة والأذواق الشعرية والتعبيرية.

وقد اعتبر كتابه "الخيال الشعري عند العرب بداية تحول في تحديث الشعر العربي وطرح رؤية مغايرة تستند بالأساس إلى مفهوم الخيال الشعري ودوره، في انتاج النص، لهذا راح الشابي يحدد منهجه في البحث فيقول "أريد أن أبحث في الخيال عند العرب من ذلك الجانب الذي تتدفق فيه أمواج الزمن بعزم وشدة و تنهزم فيه رياح الوجود المتناوحة مجلجلة دواية جامحة، وتتعاقب عليها ظلمات الكون وأضوائه، واصباح الحياة وامساؤها، ذلك الجانبي الذي يستلهم ويستوحي ويشعر

[1]. كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي ص 234، 235.

[2]. عبد المجيد الحر، أبو القام الشابي، أعطى الحياة إرادتها وأخذ منها حزنها وكآبتها، ص 65.

ويتدبر ويفكر أو بكلمة مختصرة: أنثي اريد أن أبحث عند العرب على ما سميته خيالا شعريا أو خيالا فنيا"[1].

وقد حدد الشابي خصائص الرومنسية العربية في النقاط التالية:

- "إنغلاق الشاعر على نفسه
- التحليق في عالم الخيال وتذكر الماضي.
- الإندماج في عالم الطبيعة ودعوة إلى الموت كطريقة لتخلص من عالم المادي القذر"[2].

وهذا ما نلتمسه في قصائد الشابي التي تفيض بألفاظ توحي بالوحدة وتجنح للخيال واعتبار الموت خلاصا من هذا العالم.

7. اضاءات حول شعره:

لقد كان الشعر نفاثة قلب الشابي وعصارة نفسية وما يختلج في صدره وقد أشار لذلك في أكثر من قصيدة، غير أنه من يكتب له أن يرى ثمرات ديوانه بحياته ونشر بعد وفاته ،"هذا الشعر قدس الشابي رسالته وأعلى من شأنها وجمع في شعره بين حسه لمرهف قصد التأثير والإبلاغ وبين الأداء الفني القوي لتحقيق المتعة والجانب الجمالي[3].

لقد اعتبر الشابي شعره وسيلة يحاول بها مشاطرة المجتمع ألامه وأماله وقد وظف ذلك مع التركيز على الجانب الجمالي الذي نلتمسه في قصائده.

كما أنه استقى من الطبيعة فكانت لها حصة الأسد في كتاباته وحول منها عنصرا من عناصر الصورة الشعرية عندها ومنها استمد الالهام والأفكار[4].

---

[1]. بن خليفة مشري، الشعرية العربية مرجعيتهاوإبدلاتهاالنصية، دراسة سحب الطباعة للجيش، الجزائر، 2009، ص 106.

[2]. الحسين تاج السر، الابتداعية في الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، ط1، لبنان 1992، ص 57، 58.

[3]. ينظر، سارة حسين جابري، أعذب قصائد الشابي، ص 13.

[4]. المرجع السابق، ص 12.

كغيره من الرومانسيين كانت الطبيعة ملاذا للشاعر وينبوعا يستقي منه أفكاره، وهذا ما تجلى في كتاباته.

لقد دار شعر أبي القاسم الشابي حول محاور ثلاث: الحب، المرأة، الطبيعية ومر بثلاث مراحل:

أ- **الطور الأول:** هو طور التشاؤم واليأس[1]. حيث يقول في قصيدة عن السآمة تحت عنوان" سئمت الحياة"

سئمت الحياة، وما في الحياة وما إن تجاوزت فجر الشباب

سئمت الليالي، وأوجاعها وما شعشعت من رحيق بصاب[2].

ب- **الطور الثاني:** هو طور التشاؤم المصحوب بالتساؤل والحيرة التي تسعى إلى اليقين[3]. يقول في قصيدة في ظلال الغاب":

ما للرياح تهب في الدنيا ويدركها اللغوب

إلا رياحي، فهي جامحة تمردها عصيب

مالي تعذبني الحياة كأنني خلق غريب[4].

ج- **الطور الثالث:** يرتفع من التشاؤم إلى درجات الصفاء الروحي كما يتجلى ذلك في قصيدة (نشيد الجبار) وقصيدة (الصباح الجديد) [5].

يقول الشابي:

أسكتي ياجراح وأسكتي ياشجون

مات عهد النواح وزمان الجنون

---

1. هاني الخير، أبو القاسم الشابي، شاعر الحياة والخلود، ص17
2. سارة حسين جابري، أعذب قصائد الشابي، ص 27.
3. هاني الخير، أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والخلود، ص 18،
4. هاني الخير، أبو القاسم والشابي شاعر الحياة والخلود، ص 147.
5. المرجع نفسه ص 18.

فأطل الصباح من وراء القرون[1].

القارئ للشابي يحس الكلمة قد نزلت في موضعها المناسب وإن العبارة تنساب على اللسان إنسيابا وأنها صلحت لذلك المقام دون سواه وذلك من جودة الأداء اللغوي وقد اهتم الشابي بقضايا المجتمعات وازداد هذا الإهتمام بسبب الظروف التي كان يعيشها وطنه والعالم العربي فنلتمس في شعره نوعا كبيرا من الجانب الإصلاحي التوجيهي يكشف عن المشكلات ويبحث عن الحلول لمواجهتها. فنظرته كانت تأملية محضة هادفة لتفسير الحياة والسهر على تعديلها والثورة في وجه الاستعمار[2].

وعلى العموم لقد كانت قصائد الشابي الإنسانية " وقفات حقيقية مع الإنسان دون النظر للعوامل والفوارق ولم يصور الأحداث فحسب بل دعا لتقديس القيم"[3].

للشابي روائع شعرية يصعب المفاضلة فيما بينها، تتسم بالجمال الفني الأنيق بقيت قصائده ترانيم خالدة للشعوب وإن سكن جسده القبر فمن تونس الجميلة إلى نظرة في الحياة مرورا بإرادة الحياة وإلى طغاة العالم وفكرة فنان كلها نابعة من نفس مرهفة الاحساس وانسان ذو شخصية فذة.

فهذا الشاعر ابن العشرينات يحس أنه ذو مسؤولية ومصلح صاحب رسالة فيقول:

شعري نفاثة قلبي أن جاش فيه شعوري

لولاه ما أنجاب عني غيم الحياة الخطير

لا أنظم الشعر أرجو به رضاء الأمير

بمدحه أو رثاء تهدى لرب السرير

حسبي إذا قلت شعرا أن يرتضيه ضميري[4].

---

[1]. المرجع نفسه ص 169.

[2]. ينظر سارة حسين جابري، ص 10، 11، 12.

[3]. ينظرسارة حسين جابري، ص 13.

[4]. هاني الخير، موسوعة الشعر العربي الحديث، أبو القاسم الشابي، شاعر الحياة والخلود، ص 13.

وفي هذا إشارة واضحة من الشاعر بأن شعره عصارة نفسه في خضم الحياة تأكد أنه لا يبتغي لا جاها ولا مالا بل إرضاء لسجيته وراحة ضميره.

وهاهو الشابي يستنفر حماة الدين فيقول:

لحى الله من لم تستثره حمية على دينه، إذا داهمته العظائم

لحى الله قوما لم يبالوا بِأَسْهُمِيصوبوها نحو الديانة ظالم[1].

وهي دعوة لتصدي للأعداء وأي أعداء إنهم أعداء الدين وهو يرجوا الدفاع عن مبادئه السامية وقيمه.

كما يدعو لنهوض وبث الأمل والحياة فيقول

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر

هو الكون حي، يحب والحياة ويحتقر الميت، مهما كبر [2].

ويرفع صوته في وجه الظلام في" إلى طغاة العالم":

ألا أيها الظالم المستبد حبيب الظلام، عدو الحياة

سخرت بأنات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه

رويدك ألا يخدعنك الربيع وصحو الفضاء، وضوء الصباح[3].

كما قال في الطبيعة:

أقبل الصبح يغني الحياة الناعسة والربي تحلم في ظل الغصون المائسة

---

[1]. هاني الخير موسوعة الشعر العربي الحديث، أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والخلود، ص 177.

[2]. المرجع نفسه، ص 07.

[3]. هاني الخير، أبو القام الشابي شاعر الحياة والخلود 115.

وصبا ترقص أوراق الزهور اليابسة وتهادى النور في تلك الفجاج الدامسة[1].

كما أنه دعا لنصرة الحق وتغنى بجمال المرأة وناجى الطيور والليل وحاول نصرة الضعفاء في شعره وأقر بالحق وأكد رجوعه بعد الغياب .

وقد كان لمناجاة الطبيعة ومناجاة الزمان ومناجاة الله نصيب في شعره كما ستتم دراستها لاحقا.

لقد أفنى الشاعر حياته في إيقاض الأرواح الخاملة وكان يتلمح المستقبل في صفاء المرآة، رؤية في قوله: "أنه لايحزنني شيء في هذه الدنيا، أكثر مما يحزنني التفكير في أنني أموت قبل أن أودي رسالة الدنيا التي أحس أنني لم أخلق لغيرها في هذا العالم[2].

ولعله اليوم يستريح في ضريحه، بعد أن أدى رسالته الحياتية كاملة نحو شعبه، ونحو الإنسانية ونحو الأدب ورسالته العظيمة أداها على أكمل الوجه .

[1]. المرجع السابق، ص159.

[2]. هاني الخير، أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والخلود، ص 14.

1. مفهوم المناجاة

أ. لغة

المناجاة في المعاجم اللغوية

جاء في لسان العرب لابن منظور "المناجي هو المخاطب وقد تناجيا مناجاة وانتجاء في الحديث والنجوي والنجي.[1]

إذا: ناجي، يناجي، مناجاة، ونجاء فهو مناج والمفعول مناجي وناجي فلان ساره بما في قلبه وخصه بالحديث.

النجوى: مصدر من قول تناجى فلان وفلان أي تسرا وكلمة " نجو" تدل على الستر والخفاء والنجوى السر شيئا بين اثنين.[2]

إذا ناجوته، ناجوا وانتجيته أي خصصته بمناجاتي وقد ورد ذكر كلمة المناجاة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿**ولا خير في كثير من نجواهم**﴾[3] وقد جاءت مصدرا في قوله تعالى ﴿**إنماالنجوى من الشيطان**﴾[4]

إن المناجاة هي الإقبال على الله وتمجيده وتخص انقطاع عن مخاطبة الثاني وذلك من أجل مخاطبة الله عز وجل.

ب. **المناجاة اصطلاحا:** إن مفهوم الشائع عن المناجاة انها الشعر الديني أو الابتهالات الدينية بماتشمله من تضرع لله وابتهالات وتسابيح "ثم خرجت المناجاة عن هذا الإطار وصارت نوعا من

[1]. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ج15، دار صادر، ط1، لبنان، 1992، ص 309.
[2]. المصدر نفسه، ص 310.
[3]. سورة النساء، الآية 114.
[4]. سورة المجادلة الآية 10.

أنواع الخطاب الهامس الخافت بين اثنين أو أكثر وتوسع نطاقها لتتضمن مناجاة الزمن ومناجاة المكان وكذلك مناجاة الطبيعة كما انها أضحت رثاءا للذات.[1]

المناجاة بعد اتخاذها المنحى أضحت سطور أدبية يعبر عنها الشاعر عما يدور داخل نفسه من أفكار ومشاعر غير مترابطة أحيانا.

وهناك من اعتبرها "تعبيرا مجازيا ينصرف فيه المتحدث عن المخاطب الحقيقي ليوجه حديثه لشخص يتوهمه أو شيئا لا وجود له، أو فكرة محددة أو موقفا انكاريا خياليا وغالبا ما يتضمنها الشعر وتكتب في ثناياه وترتبط المناجاة بالتجسيد إذ تمتاز الكائنات والمجردات المخاطبة بصفات بشرية محددة مثل الفهم كون المخاطب يخاطب كائنا أو مجرد كما لو كان يخاطب شخصا موجودا والغاية من المناجاة هي ايصال العاطفة القوية الجياشة وغالبا ما تبتدئ بحروف النداء والاستفهام"[2]

تمت الإشارة في القول السابق للمناجاة واعتبارها خارجة عن معناها الحقيقي وجسدت حوارا وخطابا لغير العاقل.

2. أهمية المناجاة:

المناجاة تشكل ظاهرة أسلوبية أساسية في نسيج النص الشعري، وهي ذات وظيفة نفسية داخل السياق النصي فالحوار يبرز ما يعتلج في نفس الشاعر من تمزق وانسلاخ وغير ذلك، إذا أن الحوار الداخلي يبرز لنا كل الهواجس والخواطر والافكار المقابلة لما يدور في ظاهرة الشعور او التفكير وهو يضيف بعد جديد من جهة ويعين على الحركة الذهنية من جهة أخرى، كما تبين المناجاة تجربة

[1]. صالح علي الشنوي، ظاهرة المناجاة في شعرابي نواس، مؤتة للبحوث والدراسة المجلد السادس عشر، العدد الثاني، 2001، ص 60.
[2]. المرجع نفسه، ص 61.

الشاعر الفردية وتكشف عن معاناته النفسية، كما تشكل الظاهرة بعدا حيويا في السياق، الذي ترد فيه، وهذا البعد يكون إثارة عن المتلقي ويفتح أمامه آفاق كثير للتعامل مع النص.[1]

3. أشكال المناجاة

خرجت المناجاة عن الإطار العام الذي تم عرفت به وهو مناجاة الله والتضرع إليه وابتعدت كل البعد عن الإطار الديني واكتست بحلة جديدة ومن اهم مواقفها ما يلي:

أ. مناجاة الله: أو ما يعرف "بالمناجاة الإلهية" وهو ما ينبغي ذكره عند كل دعاء سواء ظهر ذلك على سطح النص الشعري أو بقي متخفيا وراءه ويقوم على أسس ثلاثة هي:

الإنسان المناجي: ويظهر في أقصى حالات الضعف

الله: المناجى ويظهر في أقصى حالات القوة

مضمون المناجاة: وهو طلب المساعدة للخروج من حالة الضعف، أو الشكوى[2]

ب. مناجاة المكان (الأطلال): تقترن بمخاطبة الطلل بالنداء الذي يكون عادة موجها للعنصر الإنساني، فالشاعر يسأل ولا يظفر بجواب وهذا الاسلوب يتجاوز اللغة العادية ويرتقي بها إلى درجة منالايحاء والتعبير[3] كما يوجد مناجاة الزمن واستحضار الذكريات والمقارنة بين الماضي والحاضر أو رؤية الأمس والغد بعين مختلفة.

ت. ظاهرة التجريد: وهي أحد أهم انواع المناجاة والتجريد لغة من الجرد وجرده، أي سلب منه وهي ظاهرة مخاطبة الإنسان نفسه، حتى كأنها تقابله وتخاطبه وينقسم لقسمين:

---

[1]. ينظر صالح علي الشنوي، ظاهرة المناجاة في الشعر أبي نواس، ص 59.
[2]. ينظر، المرجع نفسه، ص 63.
[3]. المرجع السابق، ص 63.

أ. **تجريد محض:** وهو أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك.

ب. **تجريد غير محض:** وهو خطاب لنفسك لا لغيرك، وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر، وذلك أولى أن يسمى تجريدا وذاك، هو نصف التجريد لأنك لم تجرد به عن نفسك شيئا وإنما خاطبت نفسك بنفسك كأنك فصلتها عنك وهي منك[1] ويمكن أن يكون ذلك لوما أو شكوى أو بكاء.

ث. مناجاة الطبيعة: تعتبر الطبيعة بالنسبة للرومانسيين المادة الخام التي يستقون منها أعمالهم، وقد اعتبرها الشاعر مشهدا استوحى منه لوحاته الشعرية وهو لا يصفها بقدر ما يصف إحساسه نحوها واندماجه في روحها ويرتمي بين أحضانها لاجئين إليها محاولين العثور عن الطمأنينة والهدوء والبحث عن الأمن بين ربوعها.[2]

لقد كان ميل الرومانسيين واضحا في كتاباتهم فكان التوجه للطبيعة عندهم يمثل ميلا إلى الفطرة، النقاء والحرية، "وقد تأثروا بها وبعناصرها فكانوا ينشدون السلوان فيها، ويبثون حزنهم ويناجونها ومناظرها.[3]

4. محركات المناجاة: لظاهرة للمناجاة محركات وآليات تبرزها في القصائد الشعرية ومن أبرزها ما يأتي:

أ. **الاستفهام:** هو طلب شيء لم يكن معلوما سواء كان اسماأو حقيقة أو صفة لاحقة به وهو نوع من أنواع الإنشاء الطلبي.

والاستفهام نوعان:

1. **الاستفهام الحقيقي:**يتوخى صاحبه معرفه ما يجهله.

---

[1]. المرجع السابق، ص 64

[2]. ينظر: أحمد عوين، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء للطباعة، ط1، مصر، 2001، ص 108.

[3]. محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار الثقافة، د.ط، لبنان، 1993، ص 73

2. **الاستفهام المجازي:** يكون السائل عالما لما يسأل عنه لكن يقصد به معنى من المعاني المجازية التي يفهمها المتلقي من السياق اللغوي عند تأمل النص وفقهه وصبر ما يكون وراءه من معان وأسرار، وهذه المعاني المجازية ثرية ومتنوعة تتبع شتى ضروب الفكر ومختلف أنواع المشاعر.[1]

وقد يخرج الاستفهام عن أغراضه العامة ليتجاوزها إلى دلالات استلزامية كالنفي، التقرير، التعجب،تفهم من صياغ الكلام.

مفهوم النداء: هو توجبه كلام لمخاطب وتنبيه له بالإصغاء وهو موجه للعقلاء[2] وذلك لجذب الانتباه ودعوة للإصغاء.

5. مواقف المناجاة: تعددت أنواع المناجاة من حيث الموضوع المثار ومن حيث المناجي وقد اتخذت أشكالا عدة في ديوان أغانيالحياة ومن أهمها ما يلي:

أ. **مناجاة الله عز وجل:** من الشائع أن مناجاة اللههي التضرع له والخضوع والدعاء والإقبال عليه فما هو يقول في قصيدته المعنونةب "إلى الله":

يا إله الوجود هاذي جراح في فؤادي تشكو إليك الدواهي

هذه زفرة يصعدها الهم إلى مسمع الفضاء الساهي

فلقد جرعني صوت الظلام

هذه مهجة الشقاء تناجيك فهل سامع يا إلاهي[3]

[1]. صالح بلعيد، النحو الوظيفي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص 70.
[2]. رمضان صادق، شرح عمر بن الفارض، دراسة أسلوبية، ص 99.
[3]. . أحمد الفاضل، شرح ديوان الشابي، دار الفكر اللبناني، ط1، لبنان، 2004، ص 141.

يستهل الشاعر قصيدته مناجيا مناديا "اله الوجود" وهو يبثه شكواه وهي الجراح التي أثقلتفؤاده، مناجاة ابتدأت بالنداء ثم يعود الشاعر ليصف حالته المزرية والزفرات تتصاعد للسماء محاولا إيصالها إلى مسمع إلهه مستفهما وسط آلامه هل يسمعه؟ موظفا ألفاظا من معجم الحزن (الهم، الشقاء، الجراح) التي اختارها الشاعر كوسيلة لتنفيس ومنطلقا لأشجانه وهو يميل للكآبة التي تعتبر عنصر رئيسي في المذهب الرومانسي وإن كان سبب كتابه هذه القصيدة بالذات هو نوبة قلبية أصابته لما يقارب الساعتين فلما استعاد وعيه طلب ورقة وقلم وكتب هذه القصيدة، وكأنه يريد البحث عن متنفس بها،وإن كان الاستفهام الموظف هنا مجازيا فالمخاطب هو الله عز وجل في عليائه والشاعر يحاول جعل جسر بينه وبين خالقه وقد ناجاه وقد عرف عن المناجاة الإلهية أنها مناجاة ضعيف لمقتدر فقد اشتدتالآلام والآهات به فالتجأ إلى الدعاء بطريقة خاصة وحاول من خلالها التنفيس عما يجول في داخله.

ويكمل قوله رافعا صوته الموجه للإله:

يا إله الوجود مالك لا ترثي لحزن المعذب الأواه؟

قد تأوهت في سكون الليالي ثم أطبقت في الصباح شفاهي

وتغزلت بالحياة والحب وغنيت كالسعيد اللاهي

وزرعت الأحلام في قلبي الداهي وحوطتها بكل انتباهي

ثم لما حصدت لم اجن الا الشوك ماذا ترى فعلت؟ إلهي[1]

[1]. أحمد الفاضل، شرح ديوان الشابي، ص 142.

يعود الشاعر لتكرار ندائه "يا إله الوجود" وهو يستفهم (استفهام إنكاري) وهو يبث أحزانه وهمومه التي أضحت محيطة به وهو يتساءل أهو عقاب أم جزاء فالشاعر حائر حزين ينطلق مناجيا إلهه بعدما أوصدت الأبواب في وجهه و لا يحضى بجواب.

إنه يرثي لحالة بعدما وصل لأقصى حالات الضعف وموقفه متأزم موصفا ألفاظ معجم الحزن (معذب، أواه.....) تعبيرا عن الحالة النفسية التي آل إليها وهي منبعثة من نفس معذبة بحيث يبرز ألمه ويبرز جليا مما يجعله يتشاءم وقد يكون قد تأثر بجبران خليل جيران القائل:

وتألف الفجر أبو ضيء فاعتم الغيم الركود

ومضى الردى بسعادتي وقضى على الحب الوليد[1]

فهناك من رأى أن تأثر ألشابيعميق بجبران خليل جبران فكل منهما يشير لضائعة نفسية أفقدته السعادة.

ويواصل الشاعر قصيدته في حيرة وتساؤل ومناداة ومناجاة:

ياضمير الوجود أيا عالم الأرواح أيا ألها الفضاء الساهي

يا خضم الحياة يزحف في الآفاق في التراب في قرار المياه

خبروني، هل للورى من إله راحم مثل زعمهم أواه

ويرى في وجودهم روحه السامي وآياتفيه المتناهي أتي لم أجده في هاته الدنيا، فهل خلق أفقها من إله[1]

[1]. محمد فري غازي، مرض أبو القاسم الثاني، مجلة الفكر، العدد الثالث، تونس، ديسمبر، 1959، ص 188.

حيث يناجي الشاعر الوجود والعالم الخفي من الأرواح والفضاء حيث جعل منها عوالم خصها بندائه مستفهما باحثا عما يروي روحه وهو هائم ينتظر منهم الردود.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه القصيدة قد لاقت نقدا لاذعا كونها تهتم بالله وإن رأى الكثير أنه مجرد شعر كان عصارة نفس الشابي بعدما ضاقت به الدنيا بسبب مرضه من جهة ووفاة والده فوجد نفسه مهيض الجناح مثقلا بأعباء الحياة وكانت تعكس التوتر الذي عاشه في تلك المرحلة كأنه يستغيث من نفس أرهقتها خطوب الدهر فتحس وأنت تقرأ تلك السطور الشعرية أمام نفس تائهة جمع فيها المتناقضات والأضداد، فمن فضاء ساه إلى تراب وقرار المياه تتخبط بينهما معطيات الحياة، فهذه الأخيرة أثرت فيه وجعلته باحثا عنها وراءها وهل خلف كل هذا الأسى من قوة مسيرة تحنو عليهم.

وإن كانت الأسطر الشعرية تحمل في طياتها تصويرا لتوتر في نفسية الشاعر المفعمة بالحزن والأسى اللذان قاداه لهذه التساؤلات حاول من خلالها الوصول إلى الحقيقة للتنفيس عما يدور في داخله.

في هذه الأسطر نجد ألفاظا تدلعلى التيه والضياع "عالم الأرواح، خبروني لم أجده" وكأنه مفجوع إنها ذات نغمةتئن بالحزن والحيرة ولعل هناك من جعلها مرادفة للغربة والتوجع كلها كانت تؤثر فيه وتظهر جلية في شعره.

ضاقت التساؤلات بالشاعر خاصة وأنه في موضوع مناجاة وندأ لا يرد منها جوابا فتجده يبتعد عن الواقع ويجعل من المعاني الحسية مخاطبا فغرق الشاعر في متاهات عجز عن الخروج منها فيندفع للتساؤل عن مدى أحقية العبادة للإله وتتدافع المشاعر في صدره وكأنه يحاول أن يجد خلاصا للظلام الذي وصل إليه.

[1]. أحمد الفاضل، شرح ديوان الثاني، ص 143.

ويستدرك الشاعر ما فلت به لسانه قائلا:

ماالذي قد أتيت ياقلبي الباكي؟! و ماالذي قلته ياشفاهي

ياإلهي قد أنطق الهم قلبي بالذي كان... فاغتفر يا الهي!

قدم اليأس والكأبة داست قلبي المتعب الغريب، الواهي

فتشظى وتلك بعض شظاياه، فسامح قنوطه المتناهي

فهو يارب معبد الحق والإيمان والنور والنقاء الإلهي

وهو ناي الجمال والحب والأحلام لكن قد حطمته الدواهي [1].

يستفيق الشاعر مذعورا مما قاله قلبه "بماذا نطقت؟ ماذا قلت؟ ويعود مناجيا ربه مذعنا لإله متضرعا له مقرا بذنبه مؤكدا أن الذي أنطقه هو الهم وهاهو يناجيه طالبا الغفران والرحمة معترفا أن قلبه ضعيف عبث به اليأس والحزن والكآبة ونالوا منه ويعود الشاعر لإشارة أن قلبه منزل للحق، وقد جرد قلبه من طبيعته وجعل منه مزارا للنور والإيمان وإن كانت الأحزان قد عبثت به وبمشاعره.

ب. **مناجاة الزمن:** هو غرض فني أصيل متمكن من ذات الشاعر نابع من عواطفه المشحونة في ضمير وجوده وعاد من أرفع مكان من ذكرياته فيقولمستفهما:

أرى هيكل الأيام يعلو مشيدا

ولابد أن يأتي على أمسه الهدم.

فيصبح ماقد شيد الله والورى

[1]. أحمد الفاضل، شرح ديوان الشابي، ص 144.

خاربا، كأن الكل في أمسه وهم

فقلي ماجدوى الحياة وكربها

وتلك التي تذوي، وتلك التي تنمو؟[1].

يقف الشاعر في موقف المتأمل واصفا الأيام وتقلباتها وخرابا بعد التشييد مشبها كل ذلك بوهم قد زال وهنا يتساءل عن جدوى الحياة وتلك الأكوام وكأن ذلك الزمن ماهو إلى غمضة عين ونتباهة منها ليرى كلما قد شيد قد صار عدما.

إن التساؤلات التي طرحها الشابي يقارن بين اليوم و كل شيء قائم وطبيعة تنمو لتذوي وهذا للدلالة عن التقابلات والمتناقضات ومقاربة بين الأمس والصبح وبين الحياة في أحسن حالتها ووقت الكرب، إن الشاعر سيتفهم "ماجدوى الحياة"؟ وقد وظف ثنائيات ضدية "علو، هدم، تشيد، خراب هو يناجي مالا يجيب إنه الزمن الذي عجز الشاعر عن فك سره في الكون وهذا ماولد لديه حيرة وتساؤل.

ويواصل الشاعر قوله:

كنت في فجرك المغلف بالسحر فضاء من النشيد الهادي

وضياء يعانق العالم الرحب ويسري في كل خاف وباد

وانقضى الفجر... فانحدرت م ن الأفق ترابا إلى صميم الوادي [2].

هي أبيات تتجلى فيها التمزقات والضياع النفسي ومواقف يحاول فيها الشاعر مواجهة العالم الخارجي ويفشل في خلق المعادلة بين ذاته ووجوده فيلجأ للزمن ويناجيه واعتبره حلقة موازنة بين أمسه

[1].المرجع نفسه، ص 102.

[2]. أبو القاسم ألشابي أغاني الحياة د.ط دار التونسية للنشر، د. ت ص 75.

الخصب وحاضر الذي لا حياة له بل جماد نستنتج ذلك من خلال (انقضى الفجر) وانحدر من الأفق، أي ولى غياب، لقد اعتبر الشابي الماضي "جرعة تخذيرللذات، إنه موضوع شغل به ذاته حتى تترسب أحزانها في القاع"[1].

وكأنه يحاول المقاومة النفسية يشكل رؤية وجدانية جد عميقة، تتخطى حدود الزمن ويناجي ماضيه الجميل.

إن هذه الأبيات التي ناجى من خلالها الشاعر الزمن شكلت عنده صراعا خفيا يحمل في ثناياه صورا من الأسى الدفين الذي يحاول الشاعر التخلص منه أو إخفاءه بفرحة أو سرور محاولا التخفيف عن نفسه و إن كان مدركا أن ذلك الحزن حسبه دائم، بعدما انقضى كل ما هو جميل وكان دلالة على ذلك التراب" الذي قد يكون رمزا عنى به الموت والانقضاء ضف إلى ذلك لفضة "الوادي" التي توحي بالانقضاء والانتهاء.

ج. مناجاة الطبيعية: اعتبرت الطبيعة عند الرومانسية تلك الأم الرؤوم التي توفر الهدوء فلجأ إليها الشابي باعتباره –منهم– باثا شكواه وألامه[2]. وهو يقف في أكثر من قصيدة عند العناصر المكونة للطبيعة ويناجيها سواء كانت صامتة أو صائتة.

1. **مناجاة الطبيعة الحية (الصائتة):** صور الشابي الطبيعة الحي واعتبرها ككائن عاقل تفنن في مخاطبته ومناجاته وقاسم مآسيه و وأفراحه فهاهو يناجي عصفورا قائلا:

ياأيها الشادي المغرد هاهنا ثملا بغبطة قلبه المسرور

متنقلا بين الخمائل تاليا وحي الربيع الساحر المسحور

[1]. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية، ط3، دار الفكر، لبنان، 1998، ص 370.
[2]. أحمد عوين، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، ص 108.

غرد ففي تلك السهول زنابق ترنو إليك بناظر المنظور

غرد ففي قلبي إليك مودة لكن مودة مأسور [1].

لاشك أن الشابي من الشعراء الذين يحبذون إختيار عناوين قصائدهم فتكون مفاتيح أولية للولوج لعوالم الأثر الأدبي كما قد يكون العنوان غير مقيد بل يفتح فضاءا من التأويلات التي تجعلنا نغوص في بحر قصيدته.

أنه يناجي "عصفورا" مغردا قد حملته الغبطة والسرور سعادة كان مصدرها الغاب والخمائل التي يتلو على مسامعها وحي الربيع فقد شبه هذا الأخير بشخص يتلو الوحي وصاحب الوحي ذاما هو إلا الربيع الذي سحر و سحر والكل يلتف حوله وكأنه يشارك كل ذلك ويجعل من كل تغريده متنفسا وسيلة ينطلق منها لأشجانه، أنه بالنسبة له منطلق أمل وسبب نهوض وهو يقاسم العصفور فرحة ولكن الشاعر يعود ليشير للعامل المشترك بينهما أنه الأسر والشاعر هنا لم يحدد نوعه هو أسر معنوي أم مادي فمناجاته كأنه كانت تغريدات نفس متعبة سرعان ما عادت لتغوص، في أسرها من جديد رغم جمال الربيع.

وفي مقطع أخر يناجي الشاعر بلبلا فيقول:

أيها البلبل يا شاعر أحلام الربيع

غني ، إلي على صوتك أناء الدموع

[1]. سارة الجابري، أعذب قصائد الشابي، ص 72.

غني فهو يوريني أمل القلب الصريح[1].

بنفس صيغة النداء يناجي الشاعر بلبلا من خلال صوته الشجي أملا وتفاؤلا له، بحيث في صدر البيت نادى ب "أيها" و"يا" وهو مناجاة لغير العاقل ونداء له فالبلبل لن يصغي!إذن ما فحوى ندائه؟ يعود لصيغة الأمر "غني" ولكن لي وهنا الشاعر وإن خص البلبل بندائه فإن يعبر عما يختلج في صدره فالدموع خير دليل على ذلك. كما أنه أشار إلى أن غناء البلبل وصوته الشجي يوصلانه بأمل قلبه الصريع. وهذا من طبيعة الرومانسيين الذين كانت مناجاتهم للطبيعة من مميزات شعرهم" الشعر تعبير عن العاطفة الحقيقية في الابانة عما تختار النفس[2].

فهو يحاول الوصول إلى ذاته من خلال البلبل الذي وصفه شاعر الربيع ولكن انه ربيع الأحلام.

2. **الطبيعة الجامدة (الصامتة):** لقد اهتم الشابي بالطبيعة وحاورها فنجد في قصائده مناجاة لليل والسماء وأخرى للرعد، وقد رمز من خلالها لمكبوتاته وكونت صورة عن المتناقضات لدى الشاعر من حزن وفرح وتشاؤم وتفاءل.

ينشد الشابي قائلا في احد قصائده:

يا مهجة الغاب الجميل ألميصهرك النحيب؟

يا وجنة الورد الأنيقألم تشوهك الندوب؟

يا جدول الوادي الطروب ألم يرنقك القطوب؟

---

[1]. أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص 380.

[2]. مصطفى، درواش، تشكل الذات واللغة في مفاهيم النقد المنهجي، دار الأمل للطبعة الجزائر، 2008، ص 70.

ياغيمة الأفق الخطيب ألم تمزقك الخطوب؟[1].

يتوجه الشاعر لمهجة الغاب بالنداء، هو ينظر إليها من زاوية خاصة فمزج في أبياته بين النداء لغير العاقل الذي لن يحض بجواب منه كما انه يتساءل مكررا حرف النداء "يا" وأداة الاستفهام ألم" وكأنه يريد ردا يشفي من خلاله غليله "فهو ينظر لعناصر الطبيعة على أنها منادى ومساءل تشاركا في المصاب وكل منها كائن ينبض بالحياة وليست جمادا وقد تمازج بها وقدسها وتغنى بها وفني فيها[2]. وكأن الشاعر يجعل من الغاب والورد وغيمة الأفق أهل للخطاب فيناجيها ويتساءل عن ألامهم وأحزانهم وإن كانت هذه الأخيرة تمثل جزءا مأثرا للإنسان ذاته .

كما أشرنا سابقا تعددت أنواع مناجاة الطبيعة الصامتة عند الشابي وها هو يقول:

في الدياجي

كم أناجي

مسمع القبر، بغصات نحيبي، وشجوني.

ثم اصغي، علني أسمع ترديد أنيني

فأرى صوتي فريدا[3].

---

[1]. أبو القاسم الشابي، أغاني الحية، ص 137.

[2]. سهام خرفي، أبو القاسم الشابي، شاعر القلب والأحزان، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ج1، ط1،الجزائر 2005، ص 15.

[3]. أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص 44.

إن الشاعر يناجي الطبيعة "تصريحا" ويتوسل إلى القبر لعله يصغي إليه وهو باكي منتحب وفي انتظار جواب يبقى الشاعر مصغيا عله يخصه برد ولوكان ذلك صدى، أنينه يعود لمسمعه ثم يواصل قائلا:

فأنادي:

"**يافؤادي**"

"**مات من تهوى! وهذا الحد قد ضم الحبيب**"

فابكياقلب بما فيك من الحزن المذيب""

إبكيياقلبي وحيد[1].

ويمضي الشاعر مفسرا ما يحدث وإنه فارق من يحب بعدما ولج اللحد وقلبه يبكي وهو يعذره في بكاه إلا أنه يعود للتأكيد أنه سيبكي وحيدا.

ومن الجدير بالذكر أن في هذه المقاطع قد خرج الشاعر بين نوعين من المناجاة إنها مناجاة الطبيعة الصامتة ومناجاة الذات حيث خاطب قلبه الحزين ورثى لحاله التي أل إليه بعدما فقد المحبوب والغاية منها التخفيف عما يجول في داخله من ألم .

كما يقول في قصيدة "الليل"

أيها الليل يا أبا البؤس والهو ل أيا هيكل الحياة الرهيب؟

فيك تجثو عرائس الأمل العذب تصلي بصوتها المحبوب

[1]. المصدر نفسه، ص 45.

تسمع النفس في هدوء الأماني رنة الحق والجمال والخلود

تتلو الحياة من الم البؤس فتبكي بلوعة ونحيب

وعلى مسمعيك تنهل نوحا وعديدا مرا الشجون القلوب[1].

ناجي أبو القاسم الشابي الطبيعة الصامتة وألبسها روحا تعي وتفهم وتخاطب فها هو ينادي الليل الذي اعتبره حسب قوله أبا للبؤس والأهوال وزاد في ندائه لهيكل الأيام والحياة اللذان أضحيا رهينين بحيث تحثو عرائس الأمل، فقد خرج الشاعر عن المألوف في ندائه ومناجاته وصور هذه العناصر على أنها عاقل يفهم ما يسائله وجعل منه وسيلة لتعبير عما في داخله لا غاية- من مكبوتاته.

الشاعر لم ينظر للطبيعة على أنها مشاهد ومناظر ولم يكتف بوصفها، إنما جعل منها كائنا حيا يناجيه، فهو يشعر ويحس بما يحسه الشاعر لقد جعل الشابي ومن الكهوف الواهمة والجداول الجارية والأفق الجميل والليل وظلمته والحق والجمال موجودات استعان بها الشابي ليبرز المعاني في قالب من صور الألم والأمل[2].

يواصل الشابي مناجاته قائلا:

نحن نتلوا رواية الكون للموت ولكن ماذا ختام الرواية؟

هكذا قلت للرياح فقالت سل ضمير الوجود كيف البداية؟!

1. أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص 137.
2. عبد المنعم خفاجي، الشابي وجماعة أبولو، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ط1ن 1986، ص 98.

وتغشى الضباب نفسي فصارت في ملال مر: إلى أين أمشي..؟![1].

باعتبار الطبيعة ملجأ للرومانسيين يبثونها شكواهم وتقاسمهم همومهم هاهو الشابي يرتمي في أحضانها ويناجي الرياح متسائلا عن بداية الوجود وكأن زوبعة تهزه لكن استفهامه هذا لا يحضى بجواب وإن خصها بالسؤال وقد وظف ألفاظا دلت على تيهه" ملل، مر" الجملة الشعرية إلى أين أمشي؟ وكأنه يبحث عن ملجأ له بعدما أربكته التساؤلات في الكون وقد اعتبر دورة الحياة في أنها رواية، وتساؤله عن النهاية وقد دخل الشاعر في دوامة فمن مناجاة الرياح اتجه إلى ضمير الوجود، كل هذا كان مغشى بضباب مأكدا بذلك الحالة النفسية التي دخل فيها الشاعر.

د. **ظاهرة التجريد:** وقد كانت لها حصة الأسد في قصائد الشابي فهاهو يقول في مطلع قصيدته ياقلبي الدامي.

ياقلبي الدامي! إلام الوجوم؟

يكفيك إن الحزن فظ، غشوم

هذه كؤوس مرة، كالرّدى

ماملؤها إلا عصير الهموم

وذاك نايي صامت واجم.

يصغي إلى صوت الغرام القديم

[1]. سارة حسين جابري، أعذب قصائد أبو القاسم الشابي، ص 95.

ياقلبي الباكي إلام البكى؟[1].

يتوجه الشابي بتساؤله وندائه ومناجاته لقلبه الموجوع الذي يغشاه الحزن واليأس فقد جرد قلبه من طبيعته وجعل منه كائنا عاقلا صالحا للمناجاة واستوقفه متسائلا عن أسباب حزنه وانكساره حيث أشار لقلب خفاق بنور ذكريات قد صارت بعيدة فخلفته حزينا وكما هو حال المناجاة لم يلق الشاعر ردا فقد وظف عنصر النداء وألحقه بالتعجب وجعل من النداء اللازمة في كل ستة أبيات محاولا لفت انتباه القارئ قد كانت الألفاظ من معجم الحزن (وجوم غشوم، هموم، واجم، البكى) استطاع الشاعر جمعها وصياغتها ضمن أبياته ليقدم بها صورة عما يجول في خاطره وجعل منها كائنا خصه في الخطاب بعدما ألبسها أوصاف بشرية وهو يحاول الوصول لمخرج منها كأنه يحاول التملص من الحالة التي آل إليها قلبه.

ثم يعود للتساؤل:

ياقلبي الداجي إلام الوجوم؟

أكثرت ياقلبي ، فماذا تروم؟

هل تحسب الأيام في زحفها

ترثي لمن قد هدمته الرجوم

كلا! فإن الدهر يمضي ولا

[1]. أحمد الفاضل، شرح ديوان شابي، ص 100.

يلوي على ما خلفه من كليم[1].

لقد حاول الشابي تحويل قلبه إلى كائن عاقل يخصه بالنداء والمناجاة بخواطر نفسية قد ضاقت به أوصاف بها فراح يناجي ذاك القلب بصوت خافت على مرمى ضفاف الأيام واصفا هذه الأخيرة بأنها لاترحم مذكرا إياه بأنها لا تتلفت ولا ترحم المكلومين والمجروحينفهو يقوم بدور الواعظ الذي سائل وناجى ثم راحيفسر عواقب محل ذلك الحزن بعدما جرد القلب من صفة الإحساس وجعله في مقام المناجاة والخطاب محاولا التخفيف مما ينوء في صدره من حزن قد أغرقه دلت عليه الألفاظ المستوحاة كلها من عالم الحزن والكآبة ويبقى النداء سبيل الشاعر الذي سلكه فيكمل قائلا:

يا قلبي الداجي إلام الوجوم؟

إن لم الم قلبي فمن ألم؟

مالك لا تصغي لغير الكلوم

مالك لاترنو لغير الكلوم

ألا في شعاب الجحيم؟

أما ترى البلبل في غابه

يشدو وفوق الغاب تخطو النجوم؟[2].

عاد الشابي لتكرار البيت الأول محاولا لفت انتباه القارئ وتوجه إليه بالخطاب كما ألفنا في الأبيات السابقة– المفرد سعيا منه لتنفيره من ذاك الواقع الأليم الذي هام فيه قلبه وهذا الخطاب

1. أحمد الفاضل شرح ديوان شابي ص 102.
2. المرجع نفسه، ص 103.

التجريدي خصه به كدليل على احتفائه بالرومانسية الذاتية التي ترفض تغييب الفرد بل أراد منه كسر حاجز الصمت حيث رفض أنواع الحزن فأراد منه الانتفاض متخطيا ذلك بخطوات العملاقة مسار تلك الالام وجعل رمز الحرية وتغير البلبل في الغاب حيث يصل شد صوته إلى النجوم.

ومن هنا يمكن القول أن التساؤلات التي قام الشابي بطرحها كان الاستفهام فيها إنكاريا فهو لم يطلب إجابة بل كانت تحتويها الابيات ضمنيا ويلمح إليها رمزيا بحيث كان ينقل الحيرة من سياق لآخر باحثا عن اليقين كان "ياقلبي الداجي إلام الوجوم" هو الإستفهام الرئيسي وتنهال بعدها استفهامات بنسق سريع منكرا على قلبه الرضا بالحزن والإستكانة له فكأنها قيود تكبله لأسباب مجهولة سواء تعلق الأمر بإدمانه على الحزن وفقدانه إرادة التغير وكان الدليل على كل هذا معجم الحزن الذي طغى على هذه القصيدة التي ابتدأت بمخاطبة القلب ومناجاة ووصف حالته لتتصاعد اللهجة الحوارية ويزيد الانفعال وتتصاعد حسرة الشاعر على قلبه الذي انتفض أخيرا بعدما وصل التساؤل لذروته ورأى أن قلبه عليه الانتفاض مقتديا بذلك البلبل.

هـ. **مناجاة الذات** : هناك من أعتبر مناجاة الذات نوعا من الحوار الداخلي وها هو الشابي يقف قائلا:

عجبا لي أود أن أفهم الكون ونفس لم تسطع فهم نفسي

لم أفر من حقائق الكون إلا أنني في الوجود مرتاد رمسي

كل دهر يمر يفجع قلبي ليت شعري أين الزمان المؤسي

في ألام الكهوف وأشباح شؤم وبهذا الفضاء أطياف نحسي[1].

1. أبو القاسم الشابي أغاني الحياة، ص 246.

وهنا يبتدأ الشاعر بالتعجب والتساؤل عن الوجود والكون وكله حيرة واكتئاب فلا يعثر له على جواب ولا يبصر وهي تتساقط في صمت محزن كل هذا والدهر يفجع قلبه وكأن بالشاعر يبحث عما ينسيه ذلك كله زمن يسلو فيه ويفك هذا الحزن الذي يحاصره.

ثم يواصل قائلا

"ثم ماذا؟!هذا أنا، صرت في الدنيا

بعيدا عن لهوها، وهواها

في ظلام الفضاء أدفن أيامي

ولا أستطيع بكـــاها؟

وزهور الحياة تهوى بصمت

محزن، مضجر على قدميا"[1].

إن حزن الشابي هنا متواصل إضافة إلى تلك التساؤلات المطروحة من ذات الشاعر عن أحواله وسط الحياة التي عمها الحزن والكابة كيف لا وقد شبه هاذين الأخرين بأنهما الظلام، فناء وبكاها كلها ألفاظ من معجم الحزن وهو متدفق كون استعمال الشاعر لها كان متتاليا للتعبير عن الحالة النفسية التي آل إليها وكأنه وسط موج يدميه فتسيل دموعه ولاتعلو صرخته حتى أن زهور الحياة قد فارقته فهي تذوي وتذبل ولكن مثله في صمت وسط ضجر على قدميه.

1. أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص 247.

إن مناجاة الذات ظاهرة ليست جديدة عند الشابي وقد كثرت مع قصائده التي تضج بالحزن والشكوى والغربة الروحية و هاهو في موقف أخر يقول:

" ولما ندبت ولم ينفع

وناديت أمي فلم تسمع

رجعت بحزني إلى وحدتي

ورددت نوحي على مسمعي

وعانقت في وحدتي لوعتي

وقلت لنفسي: ألا فاسكتي!"[1].

في هذه الأسطر الشعرية يتوجه الشاعر بنداء ومناجاة لنفسه من خلال التجريد فيقوم الشاعر بموقفه المخاطب وكأن الذات المخاطبة تشكلت ككيان يعمد الشابي لمخاطبة ذاته وهو يرثيها لها ويشفق عليها بعدما خاضت تجارب مريرة وكانت الوحدة مآلها ويتجلى ذلك من خلال قوله "وناديت أمي فلم تسمع" وهنا يحدث الانكسار وتبدأ مرحلة التقوقع على ذات فترديد نواحه على مسمع نفسه ومعانقته للوعة كل ذلك وسط الوحدة وينهي أسطره الشعرية بالأمر الذاتي منه إليه "ألا فاسكتي" ! وهو أمر غير حقيقي وعلى غير وجه الاستعلاء فالمخاطب هنا هو الذات الشخصية.

لقد كانت الفاظ هذه الأسطر الشعرية تنم عن حزن وكآبة وضجر (ندبت، حزني، وحدتي، نوحي) كما أن هناك ألفاظا من معجم الوحدة (وحدتي، لوعتي). كلها تدل على الاسى الغارق فيه وعن

1. أبو القاسم الشابي أغاني الحياة، ص 171.

انكسارات داخلية جعلت منه لينفرد بذاته ، لعلها صفة من الصفات الأساسية عند الرومانسيين وهي العزل والانطواء على الذات والتباكي عليها.

لقد إنفصل الشاعر عن ذاته وانسلخ عليها ووصل به الأمر للتعنيف وذا ماهوإلا دليل على الصراع الداخلي القائم في نفس الشاعر الدال على محاولته لتقبل ما يدور حوله وإن كانت عزلته غير اختيارية كونه نادى واستصرخ ولم يحض بمؤنس له ولعل هذه الأبيات هي تخفيف عما يجري داخله.

و. مناجاة المكان: إن المناجاة التي تختص بالمكان إنما هي تعبير عن رؤية الشاعر أو توجهه أو شكوى بسبب الغربة فها هو الشابي يقول في أبيات مشحونة بآلام و أشجان:

شردت عن وطني الجميل أنا الش قي فعشت مشطور الفؤاد يتيما

في غربة روحية ملعونة أشواقها تقضي عطاشا جحيما[1].

يشتكي الشاعر غربة عن وطنه الجميل وهو يعيش شقاوة ولكن غربته غربة روحية وإن كان يناجي وطنه وهذا ما يمكن أن نخلص إليه من خلال البيتين السابق ذكرهما، إنها رحلة خيالية لمناجاة الوطن وهو يقص علينا مأساته المتمثلة في قضية التشرد والغربة النفسية التي يعانيها "كأنه في عالم سماوي سلبت منه السعادة فأضحى يعيش واقعا مرير[2].

إن الغربة الروحية التي عانى منها الشاعر هي مادفعه لذلك الحزن الدفين ولها أثر عميق في نفس الشاعر فأضحى –حسب قوله–كأنها في جحيم تلك الأشواق التي تمت بصلة وثيقة لذاك الوطن الذي وصفه الشاعر بأنه جميل، وقد تكون تلك الأشواق التي يحن بها الشاعر لذكريات وطنه.

---

1. أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، ص 372.
2. أبو القاسم كرو، دراسات عن الشابي، الدار العربية للكتاب، ط2، تونس، 1984، ص94.

الخاتمة

ان ظاهرة المناجاة في العمل الأدبي لم تكن موضوعا جديدا لكن مع الوقت اكتست بحلة جديدة وصارت متنفسا للشعراء وقد وقفنا في هذا البحث على جانبين اثناء الدراسة هما النظري والتطبيقي وتمثلت أهم نتائج البحث في ما يلي:

1- أبو القاسم الشابي شاعر جعل من محنته منحة وقدم أجمل صور الصمود في شعره رغم الظروف الصعبة والحزن عن نكابته المتواصلة ومرضه المزمن.

2- اتجه أبو القاسم الشابي للرومانسية وكتب قصائده في معظم الفنون وتنوع المواضيع وتعددت.

3- طغت المناجاة على شعر الشابي وتفجرت ينابيع الرومانسية فيه واستطاع رفع هذا المذهب إلى درجة الإنسانية فامتازت بروح تسمو إلى الصدق ومحاولة التحرر والعودة بهذه الأخيرة إلى عالم بسيط.

4- اهتم أبو القاسم الشابي بالمواضيع، الشعرية فقد قسم إحساساته الذاتية مع غيره وبنى بها جسرا يربطه بالطبيعة وجعل منها هدفا وغاية لا وسيلة فقط .

5- دعا أبو القاسم الشابي في شعره إلى التأمل والنهوض والبحث عن الحقائق والابتعاد عن الوهم معبرة بذلك عن وجدانياته وعالمية الشعر.

في الأخير نرجو أننا وفقنا في الإحاطة بهذا الموضوع ونعتذر على كل تقصير.مع العلم انه من المستحيل الإحاطة بجوانب الموضوع لذا يبقى الموضوع مفتوح من حيث الدراسات الجديدة ودلالاتها المتنوعة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر:

1. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ج15، دار صادر، ط1، لبنان، 1992،
2. أبو القاسم ألشابي أغاني الحياة د.ط دار التونسية للنشر، د. ت

ثالثا: المراجع:

1. أحمد الفاضل، شرح ديوان الشابي، دار الفكر اللبناني، ط1، لبنان، 2004،
2. أحمد عوين، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء للطباعة، ط1، مصر، 2001،
3. بن خليفة مشري، الشعرية العربية مرجعيتها وإبدالاتها النصية، دراسة سحب الطباعة للجيش، الجزائر، 2009،
4. الحسين تاج السر، الابتداعية في الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، ط1، لبنان 1992.
5. سارة حسين الجابري، اعذب قصائد الشابي، دار العوادي، د.ط، الجزائر2015،
6. سلمى خضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات العربية، ط1، 2001.
7. سهام فخري، سلسلة مشاهير الادب العربي، أبو القاسم الشابي، دار قرطبة، ط1، الجزائر، د.ت،
8. صالح علي الشنوي، ظاهرة المناجاة في شعرابي نواس، مؤتة للبحوث والدراسة المجلد السادس عشر، العدد الثاني، 2001،
9. عبد المجيد الحر، ابو قاسم الشابي، أعطى الحياة إرادتها وأخذ منها حزنها وكأبتها، دار الفكر العربي، ط 1، لبنان، 1994،
10. عبد المنعم خفاجي، الشابي وجماعة أبولو، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ط1ن 1986،
11. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية، ط3، دار الفكر، لبنان، 1998،
12. عمر فروخ، المناهج في الأدب العربي وتاريخه، دار صدا، طّ1، لبنان، د.ت.

13. كاظم حطيط، اعلام ورواد في الأدب العربي، ج2، دار الكتب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1ن لبنان، 2003،
14. محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار الثقافة، د.ط، لبنان، 1993،
15. محمود الشيخ، الشعر والشعراء، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، عمان، الاردن، د.ت.
16. مصطفى، درواش، تشكل الذات واللغة في مفاهيم النقد المنهجي، دار الأمل للطبعة الجزائر، 2008،
17. هاني الخير، موسوعة الشعر العربي الحديث، أبو القاسم الشابي، شاعر الحياة والخلود، دار رسلان، ط1، سوريا 2007،

المجلات:

18. صالح بلعيد النحو الوظيفي، ديوان المطبوعات الجامعية 1994.
19. محمد فريد غازي، مرض أبو القاسم الشابي، مجلة الفكر، العدد الثالث، تونس، ديسمبر 1959.

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة .....أ

الفصل الاول: الأصول الاجتماعية والتكوين الثقافي للشابي

1. نشأته وثقافته 04
2. روافده العلمية.....04
3. شخصيته..... 05
4. مرضه ووفاته..... 06
5. آثاره.....07
6. مذهبه..... 07
7. اضاءات حول شعره.....08

الفصل الثاني: المناجاة وتجلياتها في ديوان "أغاني الحياة

1. مفهوم المناجاة.....14

أ- النجوى لغة.....14

ب- المناجاة اصطلاحا.....14

2. أهمية المناجاة.....15
3. أشكال المناجاة.....16

أ. مناجاة الله.....16

ب. مناجاة المكان (الأطلال) 16

ت. ظاهرة التجريد.....17

1. تجريد محض..... 17
2. تجريد غير محض.....17

ج. مناجاة الطبيعة.....17

4. محركات المناجاة.....17
5. مفهوم الاستفهام.....18
أ- الاستفهام الحقيقي..... 18
ب- الاستفهام المجازي.....18
6. مفهوم النداء.....18
7. مواقف المناجاة..... 18
خاتمة.....39
قائمة المراجع والمصادر.....41
فهرس الموضوعات